يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النساء فلا يولد
لهم ولد قال البغوي وزعم اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يصبغه بالقار
ويطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السما
ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طبقات سفلا ووسطا وعلوا وان يجعل فيه كوى
فصنعه نوح كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السما ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل
في البطن السفلى الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن
وحمل معه ما يحتاج من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها الف ذراع
ومائتين ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك
وقال كعب الاحبار عمل نوح السفينة في ثلاثين سنة وروي انها ثلاث طبقات الطبقة الاولى للدواب
والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثر ارواث الدواب اوحى الله تعالى الى نوح ان اغمز ذنب
الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فمسح على الخنزير فوقع منه الفار فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما افسد الفار
في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها اوحى الله تعالى الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنور
وسنورة وهي القط فاقبلا على الفار فاكلاه قوله تعالى وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه اي جماعة من قومه
سخروا يعني استهزءوا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ما تصنع
قال اصنع بيتا يمشي على الماء فيضحكون منه قال يعني نوح لقومه ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت
السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت
انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى
انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى فسوف تعلمون يعني فستعرفون من ياتيه يعني اينا يأتيه
نحن او انتم عذاب يخزيه يعني يهينه ويحل عليه عذاب مقيم يعني في الاخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا في الغرق
والمراد بالعذاب الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار التي لا انقطاع لها قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور
يعني وعلى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير
هذا فلذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لسان عربي وعجمي
وقيل ان لفظ التنور اصلها عجمي فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا
التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض
فاركب السفينة فعلى هذا يكون الجواب قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي فار
التنور اي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور التنور يخرج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور
هو الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين
الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ
عليه فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب
حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك قلت
لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حوا تخبز

فيه

فيه فصار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك ثم اختلفوا في موضع التنور فقال
مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار
التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل
مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم عليه
السلام وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروي عن ابن عباس انه كان بالهند وقال الفوران الغليان
قلنا احمل فيها يعني قلنا لنوح احمل في السفينة من كل زوجين اثنين الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن
الاخر كالذكر والانثى يقال لكل منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وانثى فحشر الله اليه الحيوان من
الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه من كل صنف منهما فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى
فيجعلهما في السفينة واهلك اي واحمل اهلك وولدك وعيالك الا من سبق عليه القول يعني بالهلاك واراد به امرأته
واعلة وابنه كنعان ومن آمن يعني واحمل من آمن بك معك من قومك وما آمن معه الا قليل اختلفوا في عدد من حمل
نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته
وثلاث بنين له وهم سام وحام ويافث وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن
اسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم وهو نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وازواجهم
جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم
وقال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم بالقلة
ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغي ان يجاوز ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد ذلك في كتاب الله ولا خبر صحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء
وقصد نوح جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل نوح الدرة واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان
يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل
وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى سبيله فدخل الحمار ودخل الشيطان معه
فقال له نوح ما ادخلك علي يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله
قال ما لك من بد من ان تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي وقال البغوي
والامام فخر الدين الرازي واما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري او هوائي
فكيف يخاف من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال
البغوي وروى بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب الضر والبلاء فلا احملكما
فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضراه
وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض
فلم يحمل منهما شيئا قوله تعالى وقال اركبوا فيها يعني وقال نوح لمن حمل معه اي في السفينة بسم الله مجراها ومرساها
ان ربي لغفور رحيم يعني بسم الله اجراؤها وارساؤها قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله
فجرت وكان اذا اراد ان ترسي قال بسم الله فرست اي تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغي
له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح في سائر الامور وهي
تجري بهم في موج كالجبال الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء
قال العلماء بالسير ارسل الله المطر اربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء

Copyright © King Saud University